المنصور بن أبى عامر

(فى مسجد قرطبة ، فى الجزء الذى شيده الحكم الثانى)

المنصـــور : أبو الحسن بن جعفر بن عثمان المصحفى ، أتبـايع هشـام الثـانى ابن الحكم الثـانى خليفة بفضل الله القادر ؟

صوت المصحفى : أبايعه .

المنصـــور : (تأخـذ الأصـوات فى التـلاشى شـيئـا فشيئا) محمد بن حفص بن جابر .

صـــوت ١ : أبايعه .

المنصـــور : عبد العزيز بن حدير بن عذارى

صـــوت ٢ : أبايعه .

المنصـــور : عبد الله بن برطال

صـــوت ٣ : أبايعه .

المنصـــور : أبو إسحاق بن محمد الأفليلى .

صـــوت ٤ : أبايعه .

(فى حدائق القصر)

صـــبـح : قد عرفتك منذ تسع سنوات يا أبا عامر ، وما رأيتك مطلقا بعيد الغور كما أنت الآن ، كنت هذا الأصيل رائعا جدا أمام

الناس وأنت تأخذ البيعة ، إننى أحببتك يا أبـا عـامر . . فـى أى شـىء تفـكر ؟ (متهكمة) أتشعر بالأسى لموت الحكم ؟ لم يكن زوجـا بل لم يكن رجـلا ، من الأفضل أن أكون أم الخليفة الجديد .

المنصـور : خليفة فى الحادية عشرة يا صبح !

صـبح : لا تنادنى هكذا ، إن اب أبنى أطلق علىّ اسم غـلام : جعفـر ،إن قرطبة تدعونى « صـبح » وأنا يروق لى أن ينادونى كـما كانوا ينادوننى فى وطنى البسكى إن اسمى أَوْرُورا بالنسبة لك .

المنصـور : فى يوم ما سأغير اسمى أيضا بالنسبة لك . فى يوم ما سأسمى نفسى المنصور .

صـبح : (ضـاحكة) المنصور ؟ هذا لقب قـائد جيش ، ليس لقب رجل سـياسى مثلك يا أبا عامر يجب أن تدعى « الطموح » وليس « المنصور »

المنصـور : لماذا ؟

صبح : لقد وصلت إلى حيث أنت ، حتى أنا نفسي لا أكاد أعرف من أين جئت .

المنصور : أين أنا ؟

صبح : انظر يا أبا عامر . يالأسف إنك لم تر نفسك اليوم في المسجد .

المنصور (خارج المشهد ، ناظرا نحو الوادي الكبير) هذا الجسر أول ما أذكره من قرطبة ، إنني قدمت من طورش بجانب وادي آرو كنت فتى يقظا ، قليل الابتسام ، تروق له النساء كثيرا . (ضفة بجانب « أبو العافية ») جئت لدراسة الفقه والبلاغة ، فكل أسرتي فقهاء ، قليل منها درسوا الطب . كم مرة رأيت فيها أصيلا فوق المياه المتباطئة عظمة الشمس ، وهي تذهّب الربض ، كم حلم من أحلام العظمة دون معنى حمله نهر الوادي الكبير نحو أشبيلية ، ما أشق أن يتطلع إنسان إلى الحكم ولم يولد حتى ولو من بعيد في مدارج العرش (مجموعة من الفتيان) « فتى مجنون ،

محمد بن أبى عامر المعافرى ، فتى مجنون »
كنت أردد هذا بنفسى . وبين رفاق الدرس
كنت أتعامل كأنى لن أمارس أبدا الفقه ،
أشم ، قصيا « سيكون أبو عامر قاضى
قرطبة » وكانوا يرددون هازلين : « أووزيرا ،
ألا ترون ؟ » ينظر إلينا فى ازدراء « لكن لن
يكون أبو عامر فقيها صالحا على الإطلاق »
كان صحيحا : كم كنت أضجر من الفتاوى
التى لا حصر لها ، والأحكام المحفوظة عن
ظهر قلب ، وحيل المتفيهقين (خارج
كنيسة القديس بارتولوميه) عند إحدى
البوابات ، قريبا من القصر ومن النهر نصبت
مكتب الدعاوى ، هنالك كان يقصدنى
العوام كى أكتب لهم عرائضهم ،
التماساتهم ، كتبهم إلى الوزراء أو القضاة ،
كان يؤلمنى معصمى من الكتابة طوال اليوم ،
عامين اثنين – عامين فظيعين طويلين –
قضيتهما هنالك ، أخفقت أحلامى
فى السلطان (جدران قرطبة) تزوجت

ليس يعنيني بمن ، كـانت الذلفـاء زوجي الأولى ، ثـم تعـاقـبت أخـريات ، عندمـا قدموني لأعمل كاتبا في معية قاضي قرطبة ، علمت أن آمالي أخفقت . (بهو : بيت دى لاس ثياس ، أو قصر بيانا) موظف تافه إلى الأبد . مساعد قاض تفوح منه رائحة المداد والورق كل الوقت ، معـذبا تحت الأسقف الخانقة ، بينما السلطان في الخارج يتمطى تحت السماء الرائعة الزرقة ، وكذلك المتعة في أن تكون مطاعا ، لأنه ما هي الحياة الحقيقية دون هذا ؟ ثمة أناس أكثر سعادة على نمط آخر ، يحيون على ألف طراز من الحياة ، لكن عالم السلطة شيء آخر بعيد عن السعادة ، ربما فوق السعادة ، شئ لا يمكن مقارنته بأى شيء ، شيء يماثل سلطان الله ، وتعالى الله عن أن يكون بائسا أو شقيا ، إنه القاهر وكفى . . هكذا كنت أرى الأشياء ، وحين كنت في السابعة والعشرين من عمرى ، في ركن أحد الأبهاء

أكتب محضر دعوى دعونى إلى القصر ، وتحدث إلى الوزير المصحفى ، حسبت أن كل هذا أضغاث أحلام ، مثل حكايات الشتاء التى يزعمها الزّمْنى ، ولا تصلح لشيء .

(جدران المسجد الخارجية ، واجهة غربية)

صوت المصحفى : قدم إلىّ القاضى أسماء كثيرة ، وقد اختارت السلطانة – حفظها الله – اسمك أنت ، وكافأ الخليفة فى كرم واضح أم ولديه الوحيدين : عبد الرحمن وهشام ؛ وعملك أن تكون قيما على مالهما .

صبح : فى خلال السنوات التسع التى عرفتك فيها ما رأيتك مطلقا مشغول البال كما كنت اليوم ، ما أجمل ما بدوت لى حين رأيتك المرة الأولى يا أبا عامر ، دخلت مقصورة الحريم مثل جبريل مشعاً بالضياء ، رغبت وقتها أن أدلك أنامل يديك بحجر خفاف لكى أنزع منها بقع المداد . . ماذا حدث لك اليوم ؟

(جدران عربية جميلة)

المنصور : (خارج المشهد) وبعد ستة أشهر تقلدت دار السكة ، بعد ذلك صرت رئيس الخزانة ، وبعدها قاضى لبلة وأشبيلية، وبعد قليل عيننى الخليفة بعد وفاة ولدك الأكبر وكيل دار هشام ، كان ذلك حين شيدت منزلى فى الرصافة ، وانطلقت الشائعات تتهمنى بأننى أهدرت مال الخزانة ، بالطبع أنفقت ، كان لابد لى أن أسعد الحريم بادئا بصبح ، وبالأصدقاء ، أولى التأثير ، وبالذين من الممكن أن يصلوا إلى التأثير ، وبالجواسيس ، وبأصحاب الألسنة ، طلبت قرضا كى أسد الخلل ، وبهذا طمأنت شكوك الخليفة إلى الأبد ، فقلدنى رئيسا للشرطة وبعد أشهر قلائل إدارة الفرق التى مضت لحرب الأدارسة فى أفريقيا وخلالها عرفت غالب قائد الثغر الأوسط ، وعند قفولي عينونى مراقبا عاما لجنود الجيش .

صبح : أبا عامر ، ياحبى ، ستقول لى ماذا حدث لك اليوم أم لا ؟

المنصور : بلغت السادسة والثلاثين من عمرى . وكل المناصب التى تقلدتها مناصب إدارية بحتة ، لا أحد منها يحمل شارة السلطة .

صبح : (ضاحكة) « الطموح » لقد توسمت فيك هذا ، الجو يبرد ، هيا إلى الداخل (من الحديقة يعبرون إلى قاعة داخلية) . إن الوزير المصحفى ، وأنت وأنا الذين بيدنا الآن مقاليد الخلافة (فوق مائدة مرصعة علبة شطرنج تشرع صبح فى الإشارة إلى قطع سوداء : الملك) ولدى . (الملكة) أنا (طابية) الصقالبة (طابية أخرى) وجوه الناس . (حصان) البربر . (حصان آخر) الجيش . (فيل) المصحفى ، فيل آخر . (أنت) .

المنصور : يعنينى أيضا الصف الأول . والقطع الأخرى البيضاء لست أمثل أية قطعة يا أورورا ، كل ما وددته طول حياتي أن أكون

اليد التى تحرك الشطرنج .

(صالة قصر ، من الممكن أن تكون إحدى قاعات المسجد ، أو قاعة القديس فرناندو مثلا) .

المنصور : إن الخليفة مازال حدثا ، وأنت سيدة ، وأنت الحاجب إنكما أنتما اللذان تقرران خطة الملك ، إنهم يقطعون الطريق عليكما وأنتما تعرفان ، وكل قرطبة تعرف هذا ، لقد تواطأ الصقالبة حين مات الحكم ، يريدون تنحية ولدك ، وقد حلنا دون ذلك ، لكن فائق وجؤذر وهما الرأسان مازالا دون عقوبة .

المصحفى : فى قرطبة ثلاثة عشر ألفا من الصقالبة وهم خطيرون ، متحدون جدا ويحظون بمزايا هائلة منحها إياهم الخلفاء السابقون ، فإن فائق الرئيس الأعلى لفتية هذا القصر ، وجؤذر هو قائد الحرس الخاص ، ولديهما خدم لا يحصون ، إننى أخشى . .

المنصور : (مقاطعاً له) إنهما خصيان يا مصحفى ،

مهما تملك أيد خائنة من سلطات فإنها تصنع خونة أكثر ، إنكما أنتما اللذان يجب عليكما أن تقطعاها ، إنني – في الواقع – مازلت وكيل الأموال ،وأنت يامصحفي خذ في حسابك مواطنيك البربر ، وأنت أيتها السيدة وجوه العرب . وأنا بتحركاتي وصداقاتي أدرك أن الفكرة تروق الشعب كله الذي يمقت الصقالبة لعجرفتهم ، وجهلهم ، وقساوتهم . ليس الأمر فقط تطبيق العدالة : لكن الأمر هو الاختيار منهم ومنكم : الخليفة وأمه محجور عليهما في الواقع . (مداهنا) حين تخضد شوكتهما من المناسب أن يزهو المصحفي بلقب حاجب : إن أوامر الحاجب لا ترد . ما رأيكما ؟

صبح : رتب الأمر في سرية يامصحفي مع فائق وجؤذر ليس من الملائم أن تشرح لهما السبب : فإنهما يدركان العلة ، إن أبا عامر على صواب ، فسحق الصقالبة ليس بداية

رديئة لسياسة مملكة ، وستكون أنت أيضا أكثر أمانا .

المصحفى : إن الله يلهمك ياسيدتى ، وأنا أطيع ، شكرا أبا عامر ، فى اليوم الذى أكون فيه الحاجب ، فمن مثلك يحل محلى فى دست الوزارة ؟ هكذا ينتهى مدرج ارتقائك السريع إذ أهنئ نفسى أن عاونت فيه .

(قاعة فى بيت المنصور)

المنصور : (يطرح طابية الشطرنج)

هكذا رأيكم فى الحاجب الجديد ؟

صوت ١ : ليس لأننا فى بيتك أيها الوزير ، فإنك تعرف أن قرطبة تعبدك ، إنك عادل ، وعظيم ، أما المصحفى فإنه بربرى دخيل ، وبخيل ، دس أنفه فيما لا يعنيه طوال عهد الحكم ، لقد حان الأوان ليذهب .

صوت ٢ : إن الأسر ذوات النسب لا تبتلعه ، لقد امتلأ بالذهب وصار مثل الضفدع فارغا ، أسرته خشنة جدا كأنها لم تفارق أفريقيا .

صـــوت ١ : يؤلمنا أن يحكمنا رجل نحتقره .
صـــوت ٢ : بضربة تقضى على المصحفى ، يتلقى البربر
درسا جيدا ، أولئك البربر المتغطرسون
الحمقى مثلما كانوا عليه من حوالى قرنين
ونصف حينما قدموا إلى الأندلس .
المنصـــور : إن أسركم – وأسرتى – وصلوا إلى الأندلس
بعد قليل من وصول أولئكم .
صـــوت ٢ : نعم . لكن ليس مع طارق : بل مع موسى
، نحن عرب بلديون ، لسنا بربر .
المنصـــور : (يظهر الالتزام بالأمر) علينا أن نتعاون مع
الجيش ، علينا أن نتعاون مع القائد غالب ،
سيفعل ما يمكنه لو ألحفتم كثيرا
(القصر الملكى)
المنصـــور : يتكاثر النصارى ياأورورا ، يهاجمون الثغور
ظانين أن الخلافة واهنة ، من أجلك ومن أجل
ولدك أنا مستعد لصنع أى شىء يا حبيبتى،
دعينى أذهب لقيادة فرقة .
صـــبح : لا يا أبا عامر ، لا أريد مخاطر ، إن مكان
وزير هو قرطبة هنا ، والحرب من شأن غالب

يقررها من مدينة سالم حيث هو .

المنصـــور : اسمحى لى أن أذهب أنا ، وأن أكون الذى يطمئنك .

صـــبح : فضلا عن أن المصحفى يقول إنه ليس لديك خبرة بالحرب مطلقا ويستلزم حشد فرقة تكاليف جساما .

المنصـــور : ياله من بخيل لئيم ، مهما كانت التكاليف ، أتكون حمايتك وحماية الخليفة غالية ؟ من الحسن والحرية أن نحكم أنت وأنا يا أورورا دون وجود المصحفى الممل ، مُريه أن يصرح لى أن أذهب إلى الحرب ضد النصارى بجوار غالب .

(فى مدينة سالم)

المنصـــور : عندما رأيتك تحارب فى أفريقيا ياغالب أدهشتنى ، لم أتطلع إلى شىء سوى أن أكون بجانبك ، أحارب تحت قيادتك ، وأن أتعلم فى معركة ضد أعداء الإسلام .

صوت غالب : شكرا لك أيها الوزير ، من الذى كان يظن أن ذلك الإدارى الصغير أوانئذ سيتحول إلى عمود رايتنا ، راية لا تبقى ساكنة فى قرطبة ، يرتعد ، بل إنه يخاطر فى الوصول إلى هنا .

المنصور : (يتأمل المنظر) يالها من أرض مختلفة : نظيفة باردة ، متميزة ، لرؤية العدو يكفى الصعود هنا لنكون أعلى منه ، وفى قرطبة فالعدو – مع ذلك – هو الذى يكون دائما فى المحط الأعلى ، ما رأيك فى المصحفى أيها القائد ؟

صوت غالب : إذا كنت تتكلم عنه ، فليس غريباً لدى أن تقول إنه فى المحط الأعلى : إنه أكبر متسلق أعرفه . لو منحنى مكافأة خدماتى كما منح هو نفسه لم أكن ذلك القائد البائس ، لكن آه ! فإن رسوم الخدمات يقدرها هو لا أنا .

المنصور : كيف يرى الجيش تغييرا فى الحكومة ؟

صوت غالب : كما يراه الخليفة ووجوه الناس .

المنصور : سأكون فخورا أن أطيعك مثل أحد جنودك .

صوت غالب : تقدم (ضجة معركة) .

(فى مدينة الزهراء)

صبح : مرحبا بك يا أبا عامر ، أحبك أكثر من أى وقت ، لم يدر بخلدى مطلقا أن تكون كذلك بطلا . من كان يظن أن رجلا من سياسى البلاط يعرف كيف يغنم معركة ؟ قرطبة توليك حبها ، وإننى أغار منها .

المنصور : أمامك ياسيدتى ، وأمام هؤلاء الحشم أنصب نفسى مديرا لمدينة قرطبة .

صبح : بيد أن هذا المنصب يشغله أحد أبناء المصحفى .

المنصور : لهذا ياسيدتى . وقد علمت أن أسماء بنت القائد غالب طلقت من الوزير ابن حدير ، أريد أن ألتمس يدها لى .

صبح : لكن غالب قد منحها إلى ابن المصحفى الآخر .

المنصور : لهذا ياسيدتى !

صبح : زوجا أخرى أبا عامر ؟

المنصور : سأستعملها لإعلان حرب لن أستطيع أن

أشغل قلبى بها لأنه مشغول بك (تبسم صبح) المصحفى لا يتعاون معه أحد الآن ، إنه يقف وحده . الجيش يفضلنى أنا ، ووجوه الناس فى قبضتى ، يريدون أن يتبوأوا – فى جنون – المناصب التى لا نهاية لها والتى قلدها المصحفى ذوى خاصته .

صبح : افعل ما بدا لك أبا عامر .

المنصور : (يطرح فيلا) المصحفى ياسيدتى .

صبح : لم يبق غيرك ، لقد أصبحت صاحب كل شىء .

المنصور : حتى الآن . لا ، ياحبى ، حتى الآن لا .

(عند المحراب)

صوت ٤ : إننى هشام الثانى ، خليفة قرطبة أمير المؤمنين – رضى الله عنه – أريد أن أمنحك – هدية زواجك – لقب الوزير الأول الذى يفخر بحمله فقط أبو زوجك أسماء ، غالب الشجاع ، وأن أقلدك منصب الحاجب الذى شعر بخيانة المصحفى الخائن

(يسجد المنصور باسما)

(داخل دار المنصور)

صـــوت ٤ : الذين شلهم سقوط المصحفى يوجهون التهمة إليك يناصرهم بعض الصقالبة الذين أغضيتم عنهم ، ومئات من المسلمين المارقين ، أما الفقهاء فإنهم لن يدافعوا عنك لاعتقادهم أنك غير مؤمن صالح .

المنصـــور : عندما تقطع شجرة لابد من الإتيان على جذورها الغائرة .

صـــوت ٤ : أسوأ ما فى الأمر أن شكاواهم هاته ينظمها شعرا الشاعر الرمادى ، والأهاجى حين تنظم تكون قوية الإيقاع ، وتبقى محفورة فى الذواكر .

المنصـــور : (أمام الشطرنج) ليشنق جؤذر الذى وهبته حياته منذ ثلاث سنوات (يشرع فى رمى قطع الشطرنج) ليكون عبرة للمتآمرين ، وليقصى كل الرؤوس ، وليقتنع الفقهاء أن المخالفين لى يهاجموننى ليس لأننى غير مسلم صالح ، بل لأننى سنى مدافع عن المذهب المالكى . وأن ينتقى وفد منهم –

من بين الأربعة آلاف مجلد تضمها مكتبة
الحكم – بعض المجلدات التى يعتقدون أن
بها هرطقة وإلحادا وأن تحرق . أو ليتحول
المتآمرون إلى تآمر دينى وليس سياسيا .
وبالنسبة للشاعر – وهو صوت الشعب –
بينما أحاول أن أحمسه للتغنى بفكرة
أخرى ، فليسكت : بالدينار أو بالنار
حسب الذى يريده وأنا – فى ساعات فراغى
– بجودة خطى المعهودة سأنسخ القرآن
ليكون هذا الانشغال الورع تجربة ونموذجا
لكل المدينة هكذا أتذكر أيام كنت
كاتبا (يتهيأ حقيقة للقيام بهذا) إن
السلطة فى يدى الآن ، ويبدو لى أن الحفاظ
عليها أشق من السعى فى سبيلها
(لوحة الشطرنج تتضح فى الظلام)

المنصور : سيكون من المناسب أن ينشغل المرء بالقطع
المتناقضة ، إذا كانت هناك واحدة لم تكن
متناقضة ، الذى لم يولد حاملا لقب ملك
ويود أن يكون له فعليه أن تكون يده سخية ،

وضميره نقيا ، وأن يحرز نصرا فى الغزوات ، سأغزو غزوتين كل سنة ضد النصارى ، ليس لأنهم نصارى ، ولا لأن جيوشى مبتلاة بهم ، ولا لأن أمراءهم يحارب بعضهم بعضا مثل الذئاب ، بل لأننى فى حاجة إلى النصر عليهم كل خمسة أشهر أوستة ، كذلك فى حاجة إلى أموالهم ، للحفاظ على قرطبة سيدة وجميلة وهو الشيء الذى يستدعى تكاليف باهظة فى هذا العالم (موسيقى حربية) سنبدأ بالثغر الأوسط (حصن غرماج - إيقاع خطابى) من هذه السفينة الراسية فى بحر قشتالة نرحل لمحاربة أعداء الله . هذا سيف نهر دويرو الفضى لابد أن يرانا قافلين فى رداء المجد ، محاطين بالأسلاب والعبيد ، هذه السفينة هى التى اختارها الله للوقوف على أعلى مكان ، هنا مفتاح النصر ، هنا طلسمه . أرى من حبل شراعها عالم الله اللانهائى الذى أهداه إلينا ، فلنأخذه ، لأن

القدر ينبسط انبساط السماء فى أيدى
الأقوياء ويتضاءل تضاؤل الصل فى أيدى
الضعفاء ، النفير أيها الجنود ، اغتنوا بأموال
الأعادى ، والتحفوا بالمجد وخلود الذكر ،
تحيون بقدر ما تقتحمون الموت ، فإن الذين
يموتون يدفنون بملابسهم ودمائهم ، دون أن
يغسلوا ، يجيئون وأفواه جراحهم يوم
القيامة ريحها ريح المسك (فى نغمة ذاتية
كأنه يخاطب نفسه) كيف يُسمع الصمت ،
لا أريد أن أسمع شيئا ، أى شيء ، أى
شيء حتى جرسا ، أو عصفورا ، أو رياحاً ،
أريد أن أستمع إلى الصمت فحسب ،
الذى يسبق الضجة ، القعقعة ، فزع
الحرب .

(ضجة حرب تنهيها موسيقى من البلاط)

(غرفة من القصر)

صبح : هل قررت شيئا ياحبى بالنسبة لتربية
ولدى ؟

المنصور : انسىْ هذا ياأورورا ، سأسهر على رعايته

ورعايتك ، فليضحك وليلعب ، وليصل ،
وليتسل مع حريمه .

صبح : لكنه مازال صبيا بالنسبة للنساء .

المنصور : من أجل المتعة ليس صغيرا جدا ، يا حبى أنا ، لكن من أجل التعاسة والموت نعم . إنه ولد ملكا ، فلندعه يكونه على أفضل طريقة ممكنة ، فليملك ، وليتركنى – ليتركنا – نحكم . إن الحكم هو الوجه المر لعملة الحكم الذهبية .

صبح : لست واثقة يا أبا عامر .

صبح : إن الملكية يا أورورا مصادفة : وأنت – كما كنت أمة تعرفين هذا أكثر من أى شخص آخر – تدركين أن السلطة قدر ، وهى قدرى ، فدعينى أكمل هذه الرسالة .

المنصور : ألا يبدو لك أن هذا تحد أن تبدأ فى بناء مدينة الزاهرة فى الجانب المقابل من قرطبة حيث توجد مدينة الزهراء مدينة الخليفة ؟ إننى لست أفهمك أبدا يا أبا عامر .

صبح : الذى يمارس الحكم عليه أن يتمتع بالاستقلال .

المنصور : لكن الشعب ، وأصحاب الدعاوى ، والوزراء ، ودواوينهم والسفراء سيتركون مدينة الزهراء ماضين إليك .

المنصور : هذا أفضل بالنسبة لهشام ، هكذا فى ذرعه أن يستمتع فى هدوء بكل مدينته ، كما أتمتع الآن بك .

صبح : انتظر .فإن غالب أيضا يشكو من تلك المدينة ، مرتئيا أن مدينة هى كثيرة بالنسبة لحاجب فقط .

المنصور : بئس الحقد ميزانا ، إن حمى من الذين يدافعون عنك ، لكن حين تكونين فى المنحدر فقط .

صبح : والجيش النظامى الذى كونته يا أبا عامر يهينه وهو قائد الجيش الآخر .

المنصور : جيشه قد انتهى ، لديه بعض فرق يابسة وهشة يسير على النظام القبلى ، على حين انتهت القبائل بواشجة الدم ، حين يسفك

الذاهب إلى الحرب دمه ، من اللازم أن يجدد كله وأن يصلح كله ، فالجنود المسرورون والمدفوع لهم جيدا لا يقهرون يا أوروروا ، عليّ أيضا أن أصلح غالب .

(فى قمم أتينشة)

صوت غالب : محمد بن أبى عامر خائن بنى أمية ، وإننى – غالب – أتحداك أمام الله لأبرئ دينى ، وشعبى والخليفة الذى أسرته من حكمك المخادع (يخيم صخب حرب على المنظر ، ثم يهمد) .

المنصور : أطيحوا برأسه ، وابتروا يده اليمنى ، ولا تقربوا خاتمه واحملوه فى صندوق إلى الزاهرة ، وسلموه إلى زوجتى ، ابنته فإن الله هو المحيى وهو المميت (يطرح الفيل من فوق مائدة الشطرنج)

(القصر الملكى)

صبح : يعرفونك فى قرطبة بالاسم الذى قلته لى يوما ما : أبو عامر المنصور .

المنصور : المنصور بالله منذ الآن فى كل الصلوات ،

وفى كل المآذن ، سيذكرون اسمى إثر اسم ولدك ، وفى تشريفات مجالسى سيكون اسمى مثل اسمه ، وسوف يقبل الأشراف يدى ويدعوننى مولانا .

صبح : (فى صوت خفيض) السيد . . .

المنصور : الخليفة الشاب منذ الآن فصاعدا سيقتصر على أعمال الورع ! لن يخرج من القصر (جلبة معركة) علىّ الآن أن أنشغل بالقونت فى قشتالة ، وبملك بنبلونة للذين انضما إلى غالب ضدى (تأخذ قطع الشطرنج البيضاء فى السقوط) سيمانكاس ، روطة ، ليون ، استرجة ، ناخرا ، بنبلونة ، برشلونة ، قويمبرا ، سان استيبان دى غرماج ، أوسما . . . (من جديد فى القصر الملكى) سأتزوج ببنت ملك بنبلونة ، شانجه غرسى الثانى .

صبح : لماذا ؟ أليس لديك ما يكفى من الذرية ، ومن النساء ؟

المنصور : لا يسرى أبدا دم ملكى فى عروق الأبناء بما

فيه الكفاية (تشتد جلبة المعركة)

(خارج المسجد)

المنصور : آمر بتوسعة المسجد كي يتسع لكل المصلين ، فإن سكان قرطبة قد زادوا واطردت كذلك زيادة المعتنقين للإسلام ، وسوف يساعدنا النصارى طوعا أو كرها في تحمل التكاليف .

(القصر الملكي)

المنصور : قد خلعت لقب وزير على ولدي عبد الرحمن .

صبح : إنه في عامه الثامن فحسب .

المنصور : حين كان ولدك في الحادية عشرة كان خليفة .

صبح : وزير يلقبه الشعب بشنجول .

المنصور : جده هو شانجة ، ملك نابارًا .

صبح : لكن أب ولدي كان خليفة ، الأب والابن

(ضجة معركة)

المنصور : سأبني بتيريسا بنت برمود الثاني ملك ليون

صـــــبح : لماذا ؟

المنصـــور : لأننى محتاج أن يدفع النصارى الجزية لى (تهوى أخريات قطع الشطرنج البيضاء)

صـــــبح : كفى . أشرع الآن فى استرجاع نظرى وذاكرتى ، سأتحدث مع ولدى .

المنصـــور : سأتحدث معه أولا ، (يلقى بملكة الشطرنج السوداء فى الفضاء) لا تخرج السيدة من حجراتها دون إذن منى (يتوجه إليها) فى ذرعى أن أقتل ولدك — لن يخسر شيئا — لكن ، لماذا ؟ سأنتظر موته ، وسيكون أولادى إذن هم الخلفاء (يلقى بالملك الأسود) .

صـــــبح : ألم نكن كلنا آلات فى يدك يا منصور ؟

المنصـــور : كنت حبيبة ، وأنت الآن شريكة فى جريمة يستغنى عنها .

صـــــبح : ألا تخشى أن تكون آلة فى يد أخرى أقوى منك ؟

المنصـــور : هذا يقرره النصارى : يدعوننى سيف الله ، معتقدين أننى المهدى — الذى يجيء قبل

نزول عيسى – جاء يجاهد فى الألف الأولى التى يزول العالم بزوالها ، إن لديهم تقويما آخر غير تقويمنا .

صبح : احترس أن تنتهى أنت .

المنصور : على كل حال سأحمل لقب السيد ، الملك الكريم ، سيدعوننى « صاحب الجلالة » وأكون « الملك العظيم » .

صبح : ستكون يامنصور إلى الأبد نموذجا للقساوة .

المنصور : ليس الحكم أن تغمض العيون ، وتسد منافذ الرحمة ، الحكم – فى بساطة – لابد أن يمارس ، وأن تذلل له العوائق التى تجابهه . الحكم قدر صعب .

صبح : منافق !

المنصور : ليس صحيحا . محبرتى ، وقلمى : كانا ما لدىّ . وهو ما بقى فوق المائدة الآن . (فى الواقع ، هوت كل قطع الشطرنج ، يضع المنصور فى وسط المائدة محبرته القديمة .

ضجة حرب) قشتالة ، نابارًا ، جليقية ،
حتى شانت ياقب دى كومبو ستيلا ، لا
تقهر ! حتى محج النصارى المأسورين
عليهم أن يحملوا أجراس كنائسهم ، وكل
أبواب مدينتهم إليّ . إننى فى حاجة إلى
قناديل أضعها فى الجزء الذى أضفته
للمسجد ، أحتاج إلى خشب جاف لأغطى
السقوف (تهب ريح عبر بهو البرتقال ،
يدحرج قطع الشطرنج ، ترتجف عبر شوارع
الذويلة الخالية فى قلعة النسور ، الحصن)
لا أحد ، لا أحد . . . بسبب شراهة
النسور منذ القدم امتدت تلك البطحاء ،
من أجل نهم النسر ومن أجل النملة . آه .
أيها الوادى الأخضر الذى خلق للهزائم
(ميدان أسلحة ، ناظرا إلى أعلى من فوق
برج المجد) ما أشد علو السماء ، وما أضألها
الآن !!(يهذى ، يدعونه يسقط فوق
النعش) احملونى إلى مدينة سالم .
(يظل يتمتم حول تغير المناظر) ، كفنونى

فى ثوب قد غزلته بناتى من كتان اشتريته من مالى الحلال : الذى بعت به أرضا كان تركها لى آبائى ، وغطوا جسدى بالغبار الذى جمعته من فوق دروعى فى المعركة خلال خمس وعشرين سنة ،كى يشفع التراب للتراب أمام الله . عبد الملك ياولدى أنت تخلفنى ، فلا تثق بمن يخاف ، واخش من يخشى ، وعاجله بالعقوبة ، وخرّج ذكورهم باستخدامك ، والحف إناثهم جناحك ما استطعت ، ولا تخرج من قرطبة الجميلة ، لكن حين يعتاص أمر فحله بنفسك ، وإن خفت الضعف فانتبذ بخاصتك وغلمانك إلى بعض المعاقل التى حصنتها لك ، واختبر غدك إن أنكرت يومك ، وليحفظنا الله . (الريح التى ما تزال تهب تقلب المحبرة فوق رقعة الشطرنج يلوث المداد مربعات مائدة الشطرنج الخالية) .